الدرس الحادي عشر

الجود والإحسان في رمضان

عناصر الدرس:

١- كان النبي ﷺ أجود الناس.

٢- الصدقة في رمضان.

٣- العلاقة بين الصيام والصدقة.

٤- صور من جود السلف في رمضان.

الدَّرس الحادي عشر

الجود والإحسان في رمضان

كان النبي ﷺ أجود الناس:

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: «**كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس، وكان أجودُ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلَرسولُ الله ﷺ أجودُ بالخير من الريح المرسلة**» [رواه البخاري ومسلم].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «أجود الناس» أي: أكثر الناس جودًا، والجود: الكرم، وهو من الصّفات المحمودة، وقوله: «أجودَ بالخير من الرّيح المرسلة» أي: المُطْلقة، يعني في الإسراع بالجود أسرع من الرّيح، وعبَّر بالمرسلة إشارة إلى دوام هبوبها بالرّحمة، وإلى عموم النّفع بجوده كما تعمّ الرّيح المرسلة جميع ما تهبّ عليه. [فتح الباري ١/ ٣١].

وذكر الزّين بن المُنَيِّر وجه التّشبيه بين أجوديّته ﷺ بالخير، وبيّن أجوديّة الرّيح المرسلة: أنّ المراد بالرّيح ريحُ الرّحمة التي يرسلها الله تعالى لإنزال الغيث العام الذي يكون سببًا لإصابة الأرض الميتة وغير الميتة، أي: فيعمّ خيره وبرّه من هو بصفة الفقر والحاجة، ومن هو بصفة الغنى والكفاية، أكثرَ ممّا يعمّ الغيث الناشئ عن الرّيح المرسلة. [فتح الباري ٤/ ١١٦].

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: «**ما رأيت أجودَ ولا أمجدَ من رسول الله ﷺ**»

[الاستذكار لابن عبد البرّ ٥/ ٧٨]

قال ابن المَلَك معلِّلًا: (لأنّ الوقت إذا كان أشرفَ يكون الجود فيه أفضلَ)

[مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٦/ ٤٤٤].

وقال الشافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (فأحب للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان، اقتداء برسول الله ﷺ، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، وتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة، عن مكاسبهم) [معرفة السنن والآثار للبيهقي٢٧٤٥].

وقد قال بعض الشعراء يمتدح بعض الأجواد ولا يصلح أن يكون ذلك إلا لرسول الله ﷺ:

تَعوَّدَ بسطَ الكفِّ حتى لَوَ انّه ... ثناها لِقَبْضٍ لم تُجِبْه أناملُهْ

تراه إذا ما جئتَه متهلِّلًا ... كأنك تُعطيهِ الذي أنت سائلُهْ

هو البحرُ مِن أيِّ النواحي أتيتَه ... فلُجَّتُهُ المعروفُ والجودُ ساحلُهْ

ولو لم يكن في كفه غيرُ روحِه ... لَجادَ بها، فليتق الله سائلُهْ

الصدقة في رمضان:

شهر رمضان المبارك شهر الخيرات، وتنزل الرحمات، وهو فرصة عظيمة لنيل أرفع الدرجات في أعالي الجنات، وأفضل الأعمال التي يجدر بالإنسان المسلم القيامُ بها في شهر رمضان المبارك: الصدقة، إذ إنّ لهذا العمل المبارك فضلًا عظيمًا، وخاصة في هذا الشهر.

ومن أبرز أبواب الصدقة في هذا الشهر الفضيل: بذل المال للفقراء والمساكين، فقد كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة، وإطعام الصائمين، فعن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من فطّر صائمًا كان له مثل أجره، غيرَ أنه لا يَنقُص من أجر الصائم شيئًا»** [رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح].

العَلاقة بين الصيام والصدقة:

الجمْع بين الصِّيام والصَّدقة من مُوجِبات الجنة؛ كما في حديث عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبيِّ ﷺ: «**إن في الجنة غُرَفًا تُرى ظهورُها من بطونها، وبطونُها من ظهورها**» فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «**لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى لله بالليل والناس نيام**» [رواه الترمذي وحسنه الألباني].

وهذه الخصال كلها تكون في رمضان، فيجتمع فيه للمؤمن الصيام والقيام والصدقة وطيب الكلام، إذ نهي الصائم عن اللغو والرفث.

ومنها: أنَّ الجمْع بين الصيام والصدقة أبلَغُ في تكفير الخَطايا واتِّقاء جهنَّم والمباعدة عنها، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم اليوم صائمًا؟**» **قال أبو بكر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **أنا، قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟» قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمَعْنَ في امرئ إلا دخل الجنة**» [رواه مسلم].

وكان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: (صلُّوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور، صوموا يومًا شديدًا حرُّه لحر يوم النشور، تصدقوا بصدقة لشر يوم عسير). [لطائف المعارف ١/ ١٨٣].

ومنها: أنَّ الصَّدقة تجبر ما قد يقع في الصيام من خللٍ ونقصٍ، ولهذا وجَبت في آخِر شهر رمضان زكاةُ الفطرِ طهرةً للصائم من اللغو والرَّفث.

صور من جود السلف في رمضان:

كان السلف الصالح يَحْرِصون على إطعام الطعام، امتثالًا لقول النبي ﷺ:

«**أيها الناس! أَفشُوا السلام، وأطعموا الطعام، وصَلُّوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**» [رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح]، وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (لَأن أدعوَ عشَرةً من أصحابي فأُطعِمَهم طعامًا، أحبُّ إليّ أن أخرُج إلى سوقكم هذا فأشتريَ رقبة فأُعتِقَها) [الزهد لهَنَّاد بن السِّري ٦٤٢].

وكان كثير من السلف يُؤْثر بفَطوره وهو صائم، ولا يفطر إلا مع اليتامى والمساكين كابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وربما علم أن أهله قد ردُّوهم عنه فلم يتعشَّ في تلك الليلة، وكان من السلف من يطعم إخوانه الطعام وهو صائم، ويجلس يخدُمهم ويروّحهم.

قال أبو السَّوَّار العَدَوي: (كان رجال من بني عَدِيّ يصلون في هذا المسجد، ما أفطر أحد منهم على طعام قطُّ وحده، إنْ وجد من يأكل معه أكل، وإلا أخرج طعامه إلى المسجد فأكله مع الناس وأكل الناس معه).

وكان حماد بن أبي سليمان يُفَطِّر في شهر رمضان خمسمئة إنسان، وإنه كان يعطيهم بعد العيد لكل واحد مئة درهم. [سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٣١].